

الفكر والثقافة في حاضرة تلمسان خلال العهد الزياني

(633 – 962 هـ / 1235 – 1554 م)

Thought and culture in the Tlemcen During the Zayani era

(633-962 H /1235-1554 m)

د/ فؤاد طوهارة / قسم التاريخ / جامعة 8 ماي 1945 / قالمة

touharaf@yahoo.fr

ملخص :

شهد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني حركة راقية ونشاطا متميزا في مجال الفكر والثقافة تعكس درجة الوعي السياسي و الأخلاقي الذي وصل إليه خلفاء الدولة ، بما خصصوه من عناية فائقة ورعاية دائمة لفئة العلماء والفقهاء ، وما بذلوه من جهود مضيئة في إقامة المؤسسات والمعاهد الدينية والتعليمية ، ومخاطبة أهل العلم والفقهاء من مختلف حواضر العالم الإسلامي لإستقدامهم إلى حاضرة تلمسان ، كل ذلك كان لها تأثير إيجابي في عقد المجالس العلمية و تفعيل المناظرات الفقهية والأدبية و تنشيط الحركة التعليمية بشكل خاص مع زيادة في الانتاج الفكري والثقافي .

الكلمات المفتاحية : ، الثقافة ، تلمسان ، المغرب الإسلامي ، العهد الزياني

Abstract :

Tlemcen emerged as cultural capital during the Islamic era, where its distinct activity appeared in the field of thought, culture and science, thanks to the sultans of the State,, I took care of a lot of scientists and scholars, and made great efforts in building institutions and religious institutes Tutorials, and contacting scientists and scholars from various countries of the Islamic world to come to Tlemcen, all these factors had a

positive impact in holding scientific boards and activate the debates and stimulate production and educational cultural and intellectual.

Key words: culture – Tlemcen – Islamic Maghreb – Zeyani era

مقدمة :

لم تكن تلمسان مجرد عاصمة سياسية للدولة الزيانية فحسب ، بل إشتهرت في المغرب الإسلامي كحاضرة علمية وثقافية إستوطنها كبار العلماء والفقهاء من مختلف دول العالم ، واحتضنت عددا من المراكز والمؤسسات الدينية والعلمية ، وبلغت درجة كبيرة من الرقي والتطور الفكري والثقافي ، مما جعلها تتبوأ مكانة متميزة منافسةً بذلك مختلف حواضر الغرب الإسلامي ⁽¹⁾ ، والسؤال الذي يطرح : ماهي العوامل الأساسية التي ساهمت بشكل واضح في تفعيل الحركة الفكرية والثقافية في حاضرة تلمسان ، وفيما تجسدت مظاهرها ؟

أولا : رعاية الدولة الزيانية للعلم والعلماء

لم يقتصر سلاطين وأمراء بني زيان على الاهتمام بالجوانب السياسية والعسكرية للدولة فحسب ، بل أسسوا قواعد وتقاليدا راقية في ميادين الفكر والثقافة تعكس إرادتهم القوية وجهودهم المستمرة في رعايتهم للآداب والعلوم ، وعنايتهم الدائمة بتشجيعهم للعلماء والفقهاء ، واستقبالهم من مختلف الحواضر الإسلامية ⁽²⁾.

لقد كان السلطان يغمراسن (633 – 681 هـ / 1236-1283 م) شغوفاً بحبه للعلم والعلماء ، يبحث عنهم و يكاتبهم للقدوم إلى تلمسان فيقرهم إليه ويغدق عليهم بالأموال والهدايا ، يصفه التنسي بقوله : « وله في أهل العلم رغبة عالية يبحث عليهم أين ما كانوا ، ويستقدمهم إلى بلده ، ويقابلهم بما هم أهلهم » ⁽³⁾ ، و من

هؤلاء العلماء أبو إسحاق إبراهيم بن يـخلف التنسي⁽⁴⁾ ظلّ السلطان يغمراسن يـكاتبه ويرغبه في سكنى تلمسان فيمتنع ، يرد زائرا ويقيم أشهرا وينصرف إلى تنس ، فورد ذات مرة على تلمسان حيث إجتمع إليه طلبة العلم و فقهاؤها فبلغ خبره أمير المسلمين السلطان يغمراسن ، فقرر الذهاب إليه والإجتماع به ، قال التنسي : « فركب بنفسه وجاء إليه وأجتمع معه بالجامع الأعظم ومعه فقهاء تلمسان وقال له : ماجئتك إلا راعبا منك أن تنتقل إلى بلدنا تنشر فيها العلم وعلينا جميع ما تحتاج ... فكان ذلك وأقطعه أمير المسلمين إقطاعات من جملتها " تيرشت " التي أقطعت بعد إنقراض عقبه لإبني الإمام . »⁽⁵⁾

لم يزل يغمراسن يهتم بالعلماء ويرعى مصالحهم حتى ذاع صيته في المغرب والأندلس وتسامع به العلماء والفقهاء، فتوافدوا عليه وأستوطنوا تلمسان ، نذكر منهم منهم خاتمة أهل الأدب⁽⁶⁾ أبو بكر محمد بن عبد الله بن داوود بن خطاب الأندلسي⁽⁷⁾ الذي إنصرف من الأندلس وأستقر بتلمسان فأحسن السلطان نزله ومثواه وقربه من بساط العز وأدناه وجعله صاحب الحكم الأعلى⁽⁸⁾ وفي ذلك يقول ابن خلدون : « ووفد في جملته أبو بكر بن خطاب ... وكان مرسلا بليغا وكاتبا مجيدا وشاعرا محسنا ، فاستكتبه وصدر عنه من الرسائل في خطاب خلفاء الموحدين بمراكش وتونس في عهود بيعاتهم ما تنوّل وتحفظ . »⁽⁹⁾

وكان العاهل الزياني يعقد المجالس العلمية في قصره ويهتم بالمذهب المالكي ويرعاه ، ونحنا منحاه إبنه السلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن (681 – 703 هـ / 1282-1303 م) في تشجيع ذوي العلم والفقهاء ، فاحتفظ بمن كان في بلاط أبيه من العلماء والفقهاء والأدباء وأضاف لهم الشاعر الصوفي الكاتب المتميز أبا عبد الله محمد بن خميس⁽¹⁰⁾ وقلده خطة الكتابة .⁽¹¹⁾

أما السلطان أبو حمو موسى الأول (707 – 718 هـ / 1307-1318 م) ، فقد سار على نهج سلفه في إهتمامه بالعلماء ، فخص إبنه الإمام أبي زيد وأبي موسى بوافر الرعاية والإعتناء⁽¹²⁾ وقرَّبهما إليه وأختط لهما أول مدرسة في تلمسان عرفت بإسمهما وأقاما عنده على مجرى أهل العلم وسننهم وأختصهما بالفتوى والشورى⁽¹³⁾ ، وسلك السلطان أبو تاشفين (718 – 737 هـ / 1318-1337 م) نهج أبيه في الإحتفاء بالعلماء وتقريبهم إليه كما فعل مع الفقيه أبي موسى عمران بن موسى المشدالي⁽¹⁴⁾ إذ أنزله من التقريب والإحسان بالحلل المكين ، وأتخذ مدرسا بتلمسان⁽¹⁵⁾ وكذا مع الفقيه أبي العباس أحمد بن عمران البجائي⁽¹⁶⁾ وقاض الجماعة أبو عبد الله محمد بن منصور⁽¹⁷⁾ حيث قلده السلطان مع قضائه كتابة سرّه « وأنزله من خواصه فوق منزلة وزرائه ، فصار يشاوره في تدبير ملكه ، فقلما كان يجري شيئا من أمور السلطنة إلاّ عن مشورته ، وبعد إستطلاع نظره »⁽¹⁸⁾

لم يقتصر إهتمام أبو تاشفين بن أبي حمو الأول (718 – 737 هـ / 1318-1337 م) بجمع العلماء والإعتناء بهم فحسب ، بل تعدى حرصه إلى إقامة المجالس و تفعيل المناظرات العلمية والأدبية في قصره ، في حضوره الخاص وسط كبار العلماء والفقهاء ، وصغار الطلبة للإستفادة والإفادة⁽¹⁹⁾.

لم يتغير الوضع في عهد أبي حمو موسى الثاني (760 – 791 هـ / 1359-1389 م) ، بل كان اعتناؤه بالعلم وأهله أشدّ وأقوى من ذي قبل ، لما إمتاز به من إلمام بالعلوم وإستعداد للمساهمة في النشاط الأدبي ونظم الشعر ، فحضي العلماء والطلبة بعطفه وتشجيعه ، ونال الكتاب والشعراء من عطائه وكرمه ، فكان عهده عهد إزدهار علمي وأدبي ، وتقدم ثقافي⁽²⁰⁾ فهو الذي استدعى أبا عبد الله الشريف التلمساني⁽²¹⁾ في أول إمارته بعد أن سئم المقام بفاس ، وأشتاق إلى ذويه وموطنه

بتلمسان ، فأصهر له في إبنته ، وزوجها إتياد ، وبنى له مدرسة جعل في بعض جوانبها مدفن أبيه يعقوب وعمّيه أبي سعيد وأبي ثابت ، وعهد له بالتدريس فيها .⁽²²⁾ وقرب إليه أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة الشهير بالتلاييسي⁽²³⁾ وأخذّه شاعرا من شعراء بلاطه ، وطيبيا خاصا للقيام بصحته .⁽²⁴⁾

لقد تألق السلطان أبي حمو موسى الثاني (760 – 791 هـ / 1359-1389 م) كشاعر وأديب يقرض الشعر ، ويحب أهله ، وبرز ككاتب ومؤلف ، له تصنيف حسن في السياسة ، لخص فيه (سلوان المطيع) لإبن المظفر ، وزاد عليه فوائد ، وأورد فيه جملة من نظمه ، وأمور جرت له مع معاصريه من ملوك بني مرين وغيرهم ، وصفه برسم ولي عهده أبي تاشفين (791 – 795 هـ / 1389-1392 م) وسمّاه (واسطة السلوك في سياسة الملوك) وقد أودع فيه آراءه السياسية وضمنه قصائده الشعرية⁽²⁵⁾ ، كما كانت له مجالس خاصة يحضرها كبار العلماء وفحول الشعراء ، تناقش فيها قضايا العلم والفقه والأدب والسيرة النبوية ، وكان له فيها رأي محمود ونقد بناء⁽²⁶⁾ ساهم في تأسيس مكتبة عامة بالجامع الكبير بتلمسان سنة (760 هـ / 1359 م) ضمت مختلف الكتب النفيسة الموجهة للطلبة والفقهاء.⁽²⁷⁾

وكان السلطان أبو زيان محمد الثاني (796 – 801 هـ / 1394-1399 م) كوالده شاعرا ، وكاتبا ، وعالما ، ومؤلفا شجع على التأليف ونسخ الكتب وإقتنائها وحبسها بخزانته التي شيّدّها بالجامع الأعظم بتلمسان سنة (796 هـ / 1394 م) ، قال بشأنه التنسي : « فأقام سوق المعارف على ساقها ، وأبدع في نظم مجالسها ، وأوضح لأهل الأبصار والبصائر رسمها ، وأثبت في رسوم التخليد وسمها وإسمها . »⁽²⁸⁾ ، وكان له حظ في التأليف والنسخ حيث نسخ بيده نسخة من صحيح البخاري والمصحف الشريف ، وكتاب الشفا للقاضي عياض وألف كتابا في التصوف سمّاه (

الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة) ، وكان يحتفل هو الآخر بالمولد النبوي صلى الله عليه وسلم ، إحتفال أسلافه الكرام بالمديح والأشعار. (29)

أمّا السلطان أبو العباس أحمد العاقل (834 - 866 هـ / 1431-1462 م) فكان يجالس العلماء وأهل الفضل والصالح ، ويشجعهم على التصنيف ويحضر دروسهم ومحاضراتهم ، ويزورهم بمنزلهم ويمشي وراء جنائزهم (30) ، وثبت أنه حضر جنازة العالم والفقيه ابن مرزوق الحفيد سنة (842 هـ / 1438 م) (31) وصلى كذلك بالجامع الأعظم على جنازة العالم قاسم بن سعيد بن محمد العقباني (32) ، وبنى مدرسة بزاوية أبو علي الحسن بن مخلوف أبركان (33) ، وأوقف عليها أوقافا جليلة ، وأجرى الوظائف على أزيد مما كانت عليه قبل (34) ونبع في عهده أئمة وفقهاء ، كثيرون نذكر منهم : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يحيى الحباك (35) ، أحمد بن محمد بن زكري المانوي (36) ، علي بن محمد بن علي القرشي الشهير بالقليصادي (37) وعدد آخر ممن عاشوا بمدينة تلمسان ، وفي غيرها من حواضر المغرب .

وبصورة عامة فشهد عهده استقرارا نسبي ورخاء ، إزدهرت خلاله الحياة الفكرية ، وكثر الإقبال على طلب العلم والمعرفة ، وبلغت المشاريع الدينية والتعليمية ذروتها . (38)

ثانيا : المؤسسات التعليمية في العهد الزياني

شكلت المؤسسات التعليمية على إختلاف أنماطها دورا هاما في بعث الحركة الفكرية وإقبال الكثير من الطلبة على إقتناء العلوم المختلفة من تقليدية وعقلية وإتقانها ، وكان سلاطين بني زيان يولون أهل العلم رعاية خاصة ويمنحون الطلبة ما يساعدهم على تحمل أعباء دراستهم ، فخصّصوا لهم الأرزاق والجرايات ، وأنشؤوا المكتبات العامة في المساجد والمدارس وغيرها من المؤسسات العلمية . (39)

1- المدارس : لم يظهر نظام المدارس في مدينة تلمسان إلا في مطلع القرن الثامن الهجري (8 هـ / 14 م) ، وقد تأخر وجودها عن بلاد المشرق بنحو قرنين ، وعن إفريقية والمغرب الأقصى بنحو نصف قرن من الزمن ⁽⁴⁰⁾ ويعزى هذا التأخر إلى الحركة العلمية التي كان يصدرها المشرق الإسلامي إلى باقي الأقاليم الإسلامية منذ الفتح الإسلامي وانتظار المغرب ما يأتيه منها . ⁽⁴¹⁾

احتوت الدولة الزيانية على عدد هام من المدارس شيد بعضها سلاطين بني زيان ، وبعضها ملوك فاس لما إستولوا على تلمسان ⁽⁴²⁾ ، كما ساهم أثرياء المسلمين ببناء عدد آخر ⁽⁴³⁾ ، وكانت مدينة تلمسان وحدها تحوي خمس مدارس أشاد بها الوزان بقوله : « وخمس مدارس حسنة ، جيدة البناء ، مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية . » ⁽⁴⁴⁾ ، وتتمثل في :

أ / **مدرسة إبنّي الإمام :** أول مدرسة أسست في تلمسان ، أمر ببنائها السلطان أبي حمو موسى الأول (707 – 718 هـ / 1307 – 1318 م) ، في أول عهده سنة (710 هـ / 1310 م) ⁽⁴⁵⁾ تكريماً للعالمين الفقيهين أبي زيد عبد الرحمن وأخيه الأصغر أبي موسى عيسى ، إبنّي الإمام الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الإمام من أهل برشك ، ⁽⁴⁶⁾ وبني لهما بجانبها سكناً يتألف من دارين . ⁽⁴⁷⁾ ، يقول يحيى ابن خلدون عن ظرفية التأسيس والهدف : « الشيخان الفقيهان العالمان أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى إبنّا الإمام الفقيه العالم أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن الإمام من أهل برشك ، إمامان مشهوران بالعلم والرياسة ... نزلّا تلمسان في أيام السلطان المرحوم أبي حمو إبن السلطان المرحوم أبي سعيد إبن أمير المسلمين أبي يحيى يغمراسن ، فأكرم مثاوما وأبنتى لهما المدرسة المسماة بهما الآن داخل باب كشوط ،

فرأسا الناس وجالسا الملوك على هدي العلماء الصالحين وسموا الرؤساء المكرمين رحمة الله عليهما. » (48)

- ولما كانت مدرسة إبي الإمام أول مؤسسة تعليمية تقام في حاضرة الدولة تلمسان، فقد عيّن السلطان أبو حمو موسى الأول (707 - 718 هـ / 1307-1318 م) كبار العلماء والفقهاء للتدريس بها وللقيام بدورها الفكري في المجتمع ، ومن هؤلاء عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن الإمام أبوزيد وأخيه الإمام العلامة أبو موسى عيسى ابني الإمام المشهوران شرقا وغربا (49) ، نوه بخصالهما ومكانتهما العلمية إبن فرحون بقوله : « عبد الرحمن إبن الإمام أبي زيد شيخ المالكية بتلمسان ، العلامة الأواحد أكبر الأخوين المشهورين بأولاد الإمام ... وهما فاضلا المغرب في وقتهما ، لهما التصانيف المفيدة والعلوم النفيسة. » (50)

قال أبو العباس الونشريسي في حقهما : « وأما بنو الإمام فأعلاهم طبقة الشيخان الراسخان الشاخصان العالمان المفتيان ، الشقيقتان ، الفقيه العلامة آخر صدور أعلام المغرب بشهادة أهل الإنصاف شرقا وغربا أبو زيد والعلامة النظّار آخر أهل النظر ، وجامع أشتات المعارف أبو موسى إبن الإمام » (51)

تولى التدريس بهذه المدرسة عدد كبير من العلماء الذين طبقت شهرتهم الأفاق ، وتخرج عليهم عشرات الطلاب الذين صاروا هم كذلك بعد فترة من تكوينهم أساتذة وفقهاء في مختلف المعارف والعلوم ، ويؤكد ذلك صاحب كتاب البغية بقوله : « ولهما بتلمسان خلق كثير ينتحلون العلم كبيرا وصغيرا بلغ كثير منهم مقام التدريس و الفتيا ببحاية درس ونظر. » (52) ، ونذكر منهم على سبيل التوضيح العالم والفقيه أبو عبد الله الشريف التلمساني (53) وأبو عبد الله محمد بن محمد المقرئ (54) وسعيد بن محمد العقباني (55) ، وإبن مرزوق الخطيب (56) ، ولسان الدين إبن الخطيب (57) .

ب / المدرسة التاشفينية : تعد التاشفينية ، ثاني مؤسسة زيانية أسست بالمغرب الأوسط ، بناها السلطان أبو تاشفين بن أبي حمو موسى الأول (718 – 737 هـ / 1318-1337 م) ، إزاء الجامع الأعظم⁽⁵⁸⁾ ويؤكد ذلك التنسي بقوله : « وأحسن ذلك كله ببناء المدرسة الجليلة العديمة النظر ، التي بناها بإزاء الجامع الأعظم ، ماترك شيئا مما أختصت به قصوره المشيدة ، إلاّ وشيّد مثله شكر الله له صنعه وأجزل له عليه ثوابه . »⁽⁵⁹⁾

يبدو أن التربية العلمية التي تلقاها في بلاط أبيه ، وإهتمامه بالعلم والعلماء وغيرها من المناقب التي إنفرد بها ، شكلت الركيزة الأساسية في تفعيل دور المدرسة والقيام برسالتها في هذا المجال ، فقد كان أبو تاشفين مؤثرا للعلماء والأدباء ، ينزلهم منازل تليق بمقامهم ، مغدقا عليهم الأموال والصلات ، يعقد المجالس العلمية ببلاطه إحتراما للعلم وأهله ، وفد عليه بتلمسان الفقيه العالم المتفنن قاضي الجماعة أبو موسى عمران المشذالي⁽⁶⁰⁾ ، من أكبر فقهاء عصره بمذهب مالك فأكرم منزله وأدام المسيرة به وألحقه بجانبه وولاه التدريس بمدرسته ، فدرس الحديث والفقه والأصول والنحو والمنطق والجدل والفرائض وغيرها من العلوم النقلية والعقلية ، وكان كثير الإتساع ومديد الباع فيما سواهما⁽⁶¹⁾ ، وإلى جانب المشذالي ، فقد حرص السلطان أبو تاشفين على تعيين كبار العلماء والفقهاء ضمن هيئة التدريس نذكر من بينهم العالم والفقيه سعيد بن محمد العقباني⁽⁶²⁾ وأبو عبد الله محمد المقرئ⁽⁶³⁾ وأبو عبد الله محمد السلاوي⁽⁶⁴⁾ وأبو عبد الله محمد بن أحمد التميمي⁽⁶⁵⁾ وأبو عبد الله محمد المغربي⁽⁶⁶⁾ وهناك عدد لا يحصى من العلماء الذين لعبوا دورا هاما ضمن هيئة التدريس ، وخلّفوا تلامذة نبه ذكرهم وذاع صيتهم في الأقطار.

لقد ظلت المدرسة التاشفينية تؤدي دورها الفكري والتربوي مايزيد عن خمسة قرون ، وبقيت شاهقة ببنائها لولا أيادي المستعمر الفرنسي الذي قام بإزالتها بعد إحتلال تلمسان سنة (1310 هـ / 1897 م) . (67)

ج / مدرسة العُباد :

أمر بنائها السلطان أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان المريني سنة (748 هـ / 1347 م) (68) ، بعدما إستولى على تلمسان سنة (737 هـ / 1336 م) ، وهي بالقرب من مسجد ضريح الشيخ أبي مدين شعيب بالعُباد (69) ، وقد أشار ابن مرزوق إلى هذا الحدث بقوله « ... و بالعُباد ظاهر تلمسان وحذاء الجامع الذي قدمت ذكره ، وبالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع بحسب إختلاف البلدان... » (70)

يبدو أن المدرسة الجديدة غلب عليها إسم العُباد ، فأصبحت منذ تاريخ إنشائها تعرف بمدرسة العُباد ، كما عرفت أيضا بإسم الولي الصالح أبي مدين شعيب بن الحسن الغوث دفين تلمسان (ت 594 هـ / 1198 م) (71) ، ويدل حسن إختيار السلطان المريني لهذا الموضع عن فطنة وذكاء وتبصر بالتاريخ ، وتقديره المتواضع للأولياء والعلماء ، وهكذا جاء مشروعه المعماري تخليدا لذكرى عالم منصوف مشهور ، ذاع صيته في كامل بلاد المغرب الإسلامي . (72)

والمعروف من سيرة أبي الحسن أنه كان يصحب معه أهل العلم أينما حلّ وأرتحل ، ويختصهم لمجالسته ومشاورته لهم في الأمور الشرعية ويستخلصهم لنفسه ويجمعهم من سائر البلاد ويجري عليهم الجرايات التي تكفيهم ، ويؤكد ذلك ابن مرزوق قائلا : « فأجتمع بحضرته أعلام ، ثم ضم لهم من كان بتلمسان وأحوازها حين إستيلائه عليها ... ولم يزل على هذا إلى أن توفي رضي الله عنه . » (73)

ومن أشهر العلماء والفقهاء الذين درّسوا بهذه المدرسة منهم : ابن خلدون ، العالم والفقير ابن مرزوق الخطيب ⁽⁷⁴⁾ الذي شهد الحصار المريني على تلمسان أثناء عودته من القاهرة ، فوجد السلطان أبا الحسن محاصرا تلمسان ، فأتصل به وساهم مع عمه في الإشراف على بناء مسجد أبي مدين بالعُباد ، ثم ولّاه أبو الحسن الخطابة بذلك المسجد بعد وفاة عمّه ، وحظي بعد ذلك عند السلطان المريني فأعلى رتبته في مجلسه ، وفي تلك الأثناء كان يحضر مجالس الأخوين إبن الإمام العلمية ، وغيرهم من العلماء ⁽⁷⁵⁾ .

د / مدرسة سيدي الحلوي :

تعد مدرسة سيدي الحلوي ، ثاني مدرسة مرينية تؤسس في مدينة تلمسان الزيانية ، بناها السلطان أبو عنان فارس المريني ⁽⁷⁶⁾ بعد إستيلائه على تلمسان سنة (754 هـ / 1344 م) ⁽⁷⁷⁾ .

تقع المدرسة بجوار الضريح الذي يظم رفات الولي الصالح المتصوف أبي عبد الله الشوذي المعروف بسيدي الحلوي ⁽⁷⁸⁾ وقد إختار السلطان المريني إنجاز مشروعه المعماري الكبير ، الذي يتألف من المسجد ، والمدرسة ، والزاوية ، والضريح ⁽⁷⁹⁾ في هذا الموضوع بالذات لإعتبارات تاريخية و دينية بحثة تؤكد تقديره المتواضع للأولياء والعلماء .

أمّا فيما يتعلق بالسمات والمميزات المعمارية والفنية التي إشمملت عليها هذه المدرسة زمن تأسيسها ، فيبدو أنّها تختلف عن تلك التي بناها سلاطين بني مرين في المغرب الأقصى ، ويقدم لنا ابن مرزوق الخطيب وصفا جميلا لمدارس أبي الحسن المريني بقوله : « وكلها " المدارس " قد إشمملت على المباني العجيبة والصنّاع الغريبة ، والمصانع العديدة والإحتفال في البناء والنقش والجص والفرش على إختلاف أنواعه من الزليج البديع

والرخام المجرع والخشب المحكم النقش والمياه النميرة . »⁽⁸⁰⁾ ، لكن فيما يتصل بمهندستها فقد ذكر ابن مرزوق : « أنها مختلفة الأوضاع بحسب البلدان »⁽⁸¹⁾ ، مما يؤكد الطابع العمراني المتميز الذي تشترك فيه المدارس المرينية ، مقارنة بنظيرتها الزيرية . يتضح أن هذه المدرسة قد لعبت دورا رئيسيا في النهوض بالحركة العلمية والثقافية في المغرب الأوسط ، وفي تكوين الأطر المتخصصة في الفقه المالكي ، وحتى تؤدي هذه المدرسة دورها على أحسن وجه فقد زودت بالمرافق الضرورية من خزانة للكتب وبيوت للطلبة وفرض جرايات لهم وللمدرسين .⁽⁸²⁾

هـ / المدرسة اليعقوبية :

أنشأها السلطان أبو حمّو موسى الثاني (760 – 791 هـ / 1359-1389 م) سنة (765 هـ / 1363 م)⁽⁸³⁾ على ضريح والده أبي يعقوب ، ويذكر يحيى ابن خلدون أنّ أبا حمّو بعدما دفن والده ، تقل إلى جواره أخويه السلطانين أبا سعيد وأبا ثابت رحمهما الله من مدفئهما بالعُباد ، وشرع نصره الله ، لحينه في بناء مدرسة وزاوية على قبورهم .⁽⁸⁴⁾

دام بنا هذه المدرسة سنة ونصف سنة وكان تدشينها في (05 صفر 765 هـ / 1363 م)⁽⁸⁵⁾ ، وقد أشاد المؤرخون بذكر جمالها ، حيث وصفها مؤلف كتاب زهر البستان بقوله : « فأقيمت مدرسة مليحة البناء ، واسعة الفناء ، بنيت بضروب من الصناعات ، ووضعت في أبداع الموضوعات ، سمكها بالأصبغة مرقوم ، وبساط أرضها بالزليج مرسوم ... غرس بإزائها بستانتين يكتنفانها ، و... صنع فيها صهريجاً مستطيلاً ، وعلى طرفيه من الرختم خصتان يطردان مسيلاً ، فيا لها من بناية ما أبجها . »⁽⁸⁶⁾

ساهمت اليعقوبية في تنشيط الحركة الثقافية بتلمسان بدليل إيوائها المستمر للطلبة واحتضانها لحلقات العلم المنتظمة وإستقبالها للعلماء ، إذ لم يتناوب على التدريس

باليعقوبية إلاّ عيون العلماء من أمثال أبي عبد الله محمد بن أحمد الشريف التلمساني⁽⁸⁷⁾، أول المدرسين بها ، ويؤكد ذلك ابن خلدون بقوله : « فهو الذي استدعى أبا عبد الله الشريف التلمساني في أول إمارته بعد أن سئم المقام بفاس ، وأشتاق إلى ذويه وموطنه بتلمسان ، فأصهر له في إبنته ، وزوجها إتيّاه ، وبني له مدرسة جعل في بعض جوانبها مدفن أبيه يعقوب وعمّيه أبي سعيد وأبي ثابت ، وعهد له بالتدريس فيها . »⁽⁸⁸⁾

كما قدم ولده أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف⁽⁸⁹⁾ دورا هاما في الحركة الفكرية ، إذ بدأ بالتدريس بتلمسان في حياة أبيه ، ثم خلفه بعد موته في التعليم بالمدرسة ، فرحل إليه الطلبة من سائر أنحاء المغرب ، وأخذ عنه ابن مرزوق الحفيد وغيره ممن نبغ ذكره بعد ذلك .⁽⁹⁰⁾

2- المساجد والزوايا : لم يكن التعليم في حواضر المغرب الأوسط ومدنه حكرا على المدارس فقط ، بل كان نطاقه أوسع من ذلك ، فقد كانت المساجد والزوايا مراكز علمية مساعدة ومكملة للمدارس الكبرى ، ففيها يتلقى الطلبة المبادئ الأولية للعلوم ، وينال العامة نصيبهم من العلم والثقافة .⁽⁹¹⁾

لقد حرص الزيانيون على بناء المساجد في المدن والقرى ، وكانوا أكثر عناية بها يجددون مادثر منها ، ويطعمون عليها الأحياس الكثيرة ، خاصة بعد إنتشار تيار التصوف وظهور الزوايا .⁽⁹²⁾ ، وتذكر إحدى الدراسات⁽⁹³⁾ أنّ عدد مساجد مدينة تلمسان في عهدها الزاهر أناف على الستين مسجدا كدلالة على تقدم الحضارة والعمران بالمغرب الأوسط . وكان من أبرز هذه المساجد :

أ- الجامع الأعظم : بناه المرابطون سنة (530 هـ / 1136 م) كما هو منقوش بباطن قبة المسجد ، على أنّ مناره متأخر عنه بنحو سبعين سنة⁽⁹⁴⁾، ثم كان تجديد

المنارة على عهد السلطان يغمراسن بن زيان (633 – 681 هـ / 1236-1283 م)⁽⁹⁵⁾ وهو أشهر المساجد وأكبرها تدرس فيه مختلف العلوم الدينية من قراءات وتفسير وحديث وفقه وتوحيد ، والعقلية ، مما يبين أن الدروس التي تلقى فيها تضاهي ما كان يلقي في مدارس تلمسان الكبرى، ومن ثم يمكن اعتبار هذا المسجد جامعة على طريقة المتقدمين، وهو بذلك يضاهي جامع القرويين بفاس، وجامع الزيتونة بتونس، وجامع الأزهر بالقاهرة .⁽⁹⁶⁾

ب - مسجد سيدي أبي الحسن :

أسسه السلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن (681 – 703 هـ / 1282-1303 م) ، سنة (696 هـ / 1296 م) ، ويعد تحفة فنية رائعة ، ونموذجاً للفن العبد الوادي .⁽⁹⁷⁾

حمل هذا المسجد إسم العالم والفقير أبي الحسن بن يخلف التنسي ، أمّا عن الهندسة المعمارية فيحتوي على بيت للصلاة مكونة من ثلاثة بلاطات عمودية على جدار المحراب تحددها صقّان من أعمدة من الرخام و تعلوها تيجان جميلة من أجمل تيجان العالم الإسلامي ، أما إطار المحراب فنزينه زخارف نباتية و كتابات كوفية نادرة الأناقة ، كما يمتاز سقفه وجدرانه بالنقوش والزخارف الفنية الرائعة .⁽⁹⁸⁾

ج - مسجد أولاد الإمام : أمر ببنائه السلطان أبي حمو موسى الأول (707 – 718 هـ / 1307-1318 م) ، في أول عهده سنة (710 هـ / 1310 م) ضمن مشروع المدرسة التي خصصها للعالمين الفقيهيّن أبي زيد عبد الرحمن وأخيه الأصغر أبي موسى عيسى⁽⁹⁹⁾ ، كما أمر ببناء المسجد الواقع داخل المشوار .⁽¹⁰⁰⁾

ويمتاز هذا المسجد بقبابه المزينة بالقرنصات وذات القواعد المضلّعة بستة وثمانية أضلاع ، ومحرايه المصنوع من الجبس المنقوش وشبكات هندسية من الزخرفة النيبانية الراقية .
(101)

د - مسجد سيدي إبراهيم المصمودي : أنشأه السلطان أبو حمّو موسى الثاني (760 - 791 هـ / 1359-1389 م) سنة (765 هـ / 1363 م)⁽¹⁰²⁾ ضمن مشروع المدرسة ، ويذكر يحيى ابن خلدون أنّ أبا حمّو بعدما دفن والده ، تقل إلى جواره أخويه السلطانين أبا سعيد وأبا ثابت رحمهما الله من مدفنهما بالعُباد ، وشرع نصره الله ، لحينه في بناء مدرسة وزاوية على قبورهم .⁽¹⁰³⁾

يمتاز هذا المسجد بأبوابه التي تماثل أبواب مسجد تينمل بالمغرب الأقصى ، وبسقوفه التي ترتدي شكل جدع هرم وبالقبة المخدّدة الموجودة أمام محرابه ، بلغ عدد أختايدها أربعة وعشرين أختودا .⁽¹⁰⁴⁾

وقد ساهم المرينيون ببناء ثلاثة مساجد بتلمسان توجد في أطراف المدينة لا أحد ينفي روعة عمارتها ورونقها وجمال زخرفها وعظمة دورها التاريخي في نشر الدين والعلم واستقطاب العلماء وهذه المساجد هي:

أ- مسجد المنصورة :

شرع في بنائه السلطان أبو يعقوب بن عبد الحق وذلك سنة (702 هـ / 1302 م) ، أثناء الحصار الطويل الذي ضربه على تلمسان إلّا أن وفاته منعه من مواصلة مشروعه الضخم ، ولما زحف السلطان أبو الحسن المريني إلى تلمسان ، إتخذ مدينة المنصورة مقرا لإمارته ، وعني أثناءها بمتابعة بناء مسجدها الأعظم ، ولم يدخر وسعا في إتقانها وإستعمال المواد النفيسة .⁽¹⁰⁵⁾ وقد إشتهر هذا المسجد بمئذنته الشهيرة التي يبلغ ارتفاعها 38 م ، مما يجعلها أعلى منذنة شيّدت في تلمسان وقف على وصفها ابن

مرزوق بقوله : « ولاشك أنّ صومعته لاتلحق بها صومعة في مشارق الأرض ومغاربها... وكانت محكمة البناء والنجارة في الأحجار بصناعة مختلفة من الإحكام في كل جانب... وأما الشريا فكان عملها على يدي ، وأنا الذي رسمت تاريخها في أسفلها بخطي على ماهي عليه الآن في جامع تلمسان . » ⁽¹⁰⁶⁾ ، وهناك لوحة منقوشة في أعلى مدخل هذه المئذنة نشرها بروسلاز جاء فيها : " الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين أمر بناء هذا الجامع المبارك أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين المرحوم أبو يعقوب بن عبد الحق رحمه الله " وقد بني هذا المسجد من الطوب المدكوك على مساحة تقدر ب 5600 م² وله 13 بابا . ⁽¹⁰⁷⁾

ب- مسجد سيدي أبي مدين :

شيدته السلطان أبو الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق المريني سنة (739 هـ / 1339 م) ⁽¹⁰⁸⁾ بقرية العباد ⁽¹⁰⁹⁾ ، وأعطاه اسم ضريح الولي الصالح أبي مدين شعيب ⁽¹¹⁰⁾ بن الحسن الغوث أحد متصوفي المغرب الإسلامي والأندلس (ت 594 هـ / 1198 م) ، وقد ساهم أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق ⁽¹¹¹⁾ ، مع عمّه في الإشراف على بناء هذا المسجد ، ثم ولّاه أبو الحسن الخطابة بذلك المسجد ، بعد وفاة عمّه أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق ⁽¹¹²⁾ ، ويؤكد ذلك ابن خلدون بقوله : « وكان عمّه ، ابن مرزوق خطيبا به على عادتهم في العباد ، وتوفي فولّاه السلطان خطابة ذلك المسجد مكان عمّه ، وسمعه يخطب على المنبر ويشيد بذكره والثناء عليه ، فحلا بعينه وأختصه وقربه ، وهو مع ذلك يلازم مجلس الشيخين إبن الإمام . » ⁽¹¹³⁾

يعدّ هذا المسجد آية في الجمال والروعة ولا يزال بهجة للناظرين وآية من الفن المغربي الأندلسي وقد كتب على أحد سيجان الأعمدة بخط أندلسي " التاج الأيمن " : « هذا

ما أمر بعمله مولانا أمير المسلمين أبو الحسن ابن مولانا أمير المسلمين أبي يعقوب » ، أما في التاج الأيسر فقد كتب : « إبتغاء وجه الله العظيم ورجاء توابه الجسيم كتب الله له به أنفع الحسنات وأرفع الدرجات » ⁽¹¹⁴⁾ ، وقد أعطى ابن مرزوق الخطيب وصفا دقيقا لهذا المسجد في مسنده . ⁽¹¹⁵⁾

ج - مسجد سيدي الحلوي : تم بناء هذا المسجد إلى جانب مدرسة وزاوية بأمر من السلطان المريني أبو عنان فارس ضمن مشرعه المعماري الكبير بعد إستيلائه على تلمسان سنة (754 هـ / 1344 م) ⁽¹¹⁶⁾ ، كما ينص على ذلك النقش التأسيسي الذي يعلو واجهة المدخل الرئيسي للمسجد وفيما يلي نصه : « الحمد لله وحده ، أمر بتشييد هذا الجامع المبارك مولانا السلطان أبو عنان فارس ابن مولانا السلطان أبي الحسن علي بن مولانا السلطان أبي عثمان بن مولانا أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أيده الله ونصره عام أربع وخمسين وسبعمائة » ⁽¹¹⁷⁾ ، وقد شيده تخليدا لذكرى وفاة العالم الشهير والمنصوف المعروف الشيخ الولي أبو عبد الله الشوزي الإشيلي المعروف بالحلوي ⁽¹¹⁸⁾ نزيل تلمسان (ت 737 هـ / 1337 م) .

أشاذ في وصف هذا المسجد ابن الحاج النميري كاتب السلطان أبي عنان فارس قائلا : « ...تتصل به الزاوية المنفسخة الأرجاء ، اللابسة حلل السنار والسناء ، المزدانة بالقبة التي يحسد إرتفاع سمكها السمّاك » ⁽¹¹⁹⁾ . يمتاز هذا المسجد بوجود بيت للصلاة مكونة من خمس بلاطات عمودية على جدار المحراب ، وصحن مربع ومئذنة موضوعة في الزاوية الشمالية الغربية ، ومدخل مزخرف ، أما سقوف المسجد فمصنوعة من الخشب ، بينما تنفرد المائضة بشكلها المربع فيها حوضان وسبعة مراحيض ، تعلوها قبة تصف كروية مزينة بمضلعات منجمة ، وورود منقوشة في الجص . ⁽¹²⁰⁾

ثالثا : نظام التعليم في العهد الزياني

لعبت المؤسسات التعليمية على إختلاف أنماطها دورا هاما في الحركة الفكرية والنشاط العلمي ضمن المهام المسندة للقائمين على وظيفة التدريس والتعليم⁽¹²¹⁾ ، ويتم ذلك على مراحل متتالية . تكون المرحلة الأولى بدخول الطفل إلى الكتاب أين يتلقى المبادئ الأولى للعلوم ، كتعلم الكتابة والقراءة ، وحفظ أجزاء من القرآن الكريم ، والحديث الشريف⁽¹²²⁾ وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون بقوله : « إعلم أنّ تعليم الولدان للقرآن شعار الدين أخذ به أهل الملّة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الحديث ... وسبب ذلك أنّ التعليم في الصغر أشدّ رسوخا وهو أصل لما بعده . »⁽¹²³⁾ .

على الرغم من نجاح هذه العملية في مختلف مساجد المغرب الأوسط ، وتكفل الأولياء بنفقة التعليم على حسابهم الخاص ، إلّا أنّ عبث الصبيان الصغار الذين لا يتحفظون من النجاسة وطيش أعمالهم جعل الفقهاء يفتون بمنع تعليمهم في المساجد إحتراما لأماكن العبادة وقديسيّتها ، فظهرت الكتاتيب منفصلة عن المساجد ، وأصبحت خاصة بتعليم الصبيان .⁽¹²⁴⁾

وقد ثبت ذلك في نازلة سئل عنها سيدي عبد الله العبدوسي فأجاب بقوله : « لا يجوز للمعلمين إلقاء الصبيان لا في المسجد ولا في صحنه ، ولا في كل موضع يحكم له فيه بحكمه ، وسوا كان ذلك عامرا أو خرابا ، إذ خرابه لا يسقط حرمة ، وأمنعوا المعلمين من ذلك أشد المنع ... »⁽¹²⁵⁾ .

ولتكريس السلوك الحسن والتربية الخلقية أصبح المعلم (المؤدب) مكلف بالسهر على مختلف العمليات التعليمية والتربوية تجاه الصبي وطريقة معاملته ، وقد أجاز الفقهاء تأديب الصبيان ومعاقبتهم بدنياً شريطة أن لا يبالغ المعلم في ذلك ، رفقا بهم نظرا لصغر سنهم ، وضيق عقولهم وقلة مداركهم .⁽¹²⁶⁾

وقد أشار ابن سحنون إلى بعض طرق وأساليب العقاب ، بضرب الصبي الذي إرتكب الخطأ وتأديبه بلوحة الكتابة أو بالعصا ، وإذا كانت الحالة أخطر لجأ المعلم إلى ضربه بالسياط ، أو على باطن قدميه ، وغالبا ماينجر عن مثل هذه العقوبات إنعكاسات سلبية لا تخلو من الخطورة ، كعدم الإنتباه ، أو الإفراط في التحصيل العلمي .⁽¹²⁷⁾ ، وحذر محمد ابن أبي زيد المعلم في متعلمه والوالد في ولده من الإستبداد في التأديب بقوله : « لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا إحتاجوا إليه على ثلاثة أسواط شيئا » ، ومن كلام عمر رضي الله عنه : « من لا يؤدبه الشرع لا أدبه الله » ، حرصا على صون النفوس عن مذلة التأديب وعلمًا بأن المقدار الذي عينه الشرع لذلك أملك له ، فإنه أعلم بمصلحته .⁽¹²⁸⁾

وبوصول علماء الأندلس إلى المغرب الأوسط ، وعودة بعض شيوخ تلمسان من المشرق وإفريقية وإمتھانهم التعليم، طرأ تغير واضح في المنهج الدراسي والمواد المدرسة في المؤسسات التعليمية ، ويظهر ذلك في بعض المواد الجديدة الموجهة للصبيان كرواية الشعر والترسل، وقوانين اللغة العربية ، والنحو والحساب ، وتجويد الخط والكتابة ، ومدرسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها ، ووقوفهم على روايات القرآن وقراءاته المختلفة .⁽¹²⁹⁾

أما مدة الدراسة التي يتلقاها الصبيان في هذه المرحلة محدّدة بخمس سنوات أو أقل يحضر من خلالها الصبي بشكل منتظم طوال أيام الأسبوع ماعدا يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع أين تتعطل الدراسة ويمنح الصبي عطلة مؤقتة على غرار العطل الدينية من كل سنة .⁽¹³⁰⁾

ويتم توزيع العلوم المدرسة على اليوم الدراسي بشكل منظم ، يدرس الصبيان القرآن من أول النهار في وقت مبكر حتى الضحى ثم يتعلمون الكتابة من الضحى إلى الظهر ،

وبعد ذلك ينصرف الصبيان إلى بيوتهم لتناول الغداء ويعودون بعد صلاة الظهر ، وتدرّس بقية العلوم كالنحو والعربية والشعر والحساب إلى آخر النهار . (131) وبعد إتمام المرحلة الأولى من التعليم وتحصيل مواد الدراسة، ينتقل الصبيان إلى مرحلة ثانية على أن يكون التعليم في مؤسسات مكملّة كالمسجد أو المدرسة أو الزاوية . (132) ، ويمنح للطلبة حق الإختيار والمفاضلة في مواد التدريس ، على أن تتساوى في ذلك العلوم العقلية والنقلية ، ونظرا لإستحواذ العلوم النقلية على مجموعة من العلماء ، وإنتشارها بشكل أوسع في المغرب الأوسط ، كانت بلا شك صاحبة الشأن الأوفر في التدريس ، وفي شأن ذلك يقول ابن خلدون : « ثم إنّ هذه العلوم الشرعية النقلية قد نفقت أسواقها في هذه الملة بما لا مزيد عليه وأنتهت فيها مدارك الناظرين إلى الغاية التي لاشيء فوقها وهذّبت الإصطلاحات وربّبت الفنون فجاءت من وراء الغاية في الحسن والتنميق ، وكان لكل فنّ رجال يرجع إليهم فيه وأوضاع يستفاد منها التعليم ...وقد كسدت لهذا العهد أسواق العلم بالمغرب . » (133) ، وهو مايفسّر إستحواذ العلوم النقلية على حصص التدريس في هذه المرحلة نظرا لشيوعها في المغرب الإسلامي من جهة ، ولطبيعة العصر الذي إعتنق الرواية والنقل عقيدة راسخة لا يستطيع الخروج عنها ، وصارت النقول أهم مايميز الحركة العلمية.

ويختار البعض الآخر من الطلبة العلوم العقلية رغم صعوبتها ، وعزوف البعض عنها ، ويعدّ أبو عبد الله محمد بن أحمد الشريف نموذجاً لطلبة العلوم العقلية ، ظهرت نجابته في مختلف العلوم من معقول ومنقول ، ودرس التنجيم والرياضيات وغيرها من العلوم العقلية على أبي عبد الله بن النجار ، ثم فضّل الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة ، فرحل إلى فاس ولازم الأبلّي وأخذ عنه علوما جمّة ، وخصوصا في التعاليم ، ثم عاد إلى تلمسان وأنتصب للتعليم (134) ، أمّا ولده أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد

الشريف ، فقد درس على أبيه مختلف العلوم من إعتقاد ، وأصول الدين ، وطبيعيات ، وفلسفة ، ومنطق ، وجدل ، ورياضيات ، وحديث وتفسير فال بضاعة وافرة من العلوم ، أتقن حفظها وفهمها ، وبدأ بالتدريس بتلمسان في حياة أبيه ، ثم خلفه بعد موته بالمدرسة اليعقوبية ، وإشتهر بغزارة حفظه للمسائل ، وتضلعه في الفقه والتقوى وتفوقه في منهج التعليم ، وإتقان الطرق التربوية . (135)

الظاهر أنّ علوم الهندسة والحساب في هذا العصر ، كانت لها شهرة واسعة ، إذ أصبحت من أكثر المواد أهمية في النظام التعليمي ، يدرّسها كبار القضاة والفقهاء من أمثال أبو عثمان سعيد العقباني (136) ومنصور بن عبد الله الزواوي (137) و محمد ابن يوسف السنوسي (138) ومحمد بن أحمد بن يحيى الحباك (139) وأبو الحسن علي بن أحمد المعروف بابن الفحّام (140) الذي إشتهر بعمله الهندسي الذي لا يباهيه عمل من أعمال علوم الهندسة في ذلك العصر ، ويتعلق الأمر بساعة آلية ضخمة تسمّى "المنجانة " وقد وصفه صاحب البغية بقوله : « وخزانة المنجانة ذات التماثيل اللجين المحكمة قائمة المصنع تجاهه ، بأعلاها أيكة تحمل طائرا فرخاه تحت جناحيه ، يخاتله فيهما ألّقم خارج من كوة بجذر الأيكة صعدا ، ويصدرها أبواب موجفة عدد ساعات الليل الزمانية يصاقب طرفيها بابان موجفان أطوا من الأولى وأعرض ، فوق جميعها ودوين رأس الخزانة قمرا أكمل يسير على خط إستواء سير نظيره في الفلك ، ويسامت أول كل ساعة بابها المرتج ، فينقضّ من البابين الكبيرين عقابان ، بقي كل واحد منهما صنجة صفر يلقيها إلى طست من الصفر مجوّف بواسطة ثقب يفضي بها إلى داخل الخزانة ، فيرن ، وينهش الأرقم أحد الفرخين فيصفر له أ[و]ه ، فهناك يفتح باب الساعة الراهنة ، وتبرز منه جارية محتزمة كأضرف ما أنت راء ، ييمانها إذبارة فيها

إم ساعته منظوما ، ويسراها موضوعة على فيها كالمبايعة بالخلافة لأمير المؤمنين أيده
الله . » (141)

إنّ هذا الوصف الدقيق لصناعة هذه الساعة وما تحويه من فنون علم الهندسة وحركاتها
العجيبة ، يؤكد مدى تطور علم الهندسة وتعدد إستخداماته خاصة في أدق الصناعات
والأستخدامات العلمية .

أمّا عن طريقة إلقاء الدروس فقد جرت العادة أن يجلس المدرّس على الكرسي (142)
بينما يجلس الطلبة على الحصر (143) ويشرع المدرّس في إختيار أنجب طلاب المجلس
ويكلفه بقراءة نص من الكتاب (144) المعد سلفا للدراسة ويتولى الأستاذ شرحه فقرة
بعد فقرة ، حسب ما تيسر له من غزارة حفظه وسعة إطلاعه (145) ، ويضيف إليه
بعض تأويلاته الشخصية ، منبها إلى ما فيه من صعوبات (146) ، ومن الأساتذة من
يتخذ متن الكتاب موضوعا للمناقشة مع الطلبة بالوقوف على ألفاظ النص ، ودلالته
اللغوية ، وتصحيح الروايات ، والتنبيه على ما في الكلام من زيادة أو نقصان ، مع
تتبع السند ومدى صحته أو بطلانه ، وهناك من يمزج بين الطريقتين . (147)

من خلال ذلك يقوم الطلبة بتقيد ما يسترعي إنتباههم من شرح الأستاذ وأجوبته على
أسئلة الطلبة (148) ، ممّا يؤكد وجود طريقة حوارية بين الطالب والأستاذ أساسها المناقشة
العلمية ، وكان بعض العلماء يعتمدون طرقا مبتكرة لتيسير الفهم خاصة في المواد
المتصلة بالعلوم العقلية ، فقد استعمل القلصادي قواعد علم الحساب في حلّ المسائل
الفرضية ، كما إستعمل الجداول للإيضاح والبيان ، ومزج بين النظرية والتطبيق في
تدريسه للحساب ، والفرائض . (149) ، والظاهر أنّ بعض العلوم العقلية خاصة علم
العدد ، والهندسة ، والفرائض ، كان تدريسها يخضع لعملية الكتابة في اللوح ، أو
الورق، لإثبات التمارين الحسابية . (150)

لقد كانت المناقشات والمناظرات العلمية ميزة كبار العلماء والطلبة من حيث الشجاعة في الطرح ، والبحث والتفكير ومقارعة الحجة بالحجة ، حتى أنّ الشريف التلمساني كان يجلس وينظر إلى طلبته ، وهم يتباحثون في فهم مسألة ما ، ويشجعهم على المناقشة ، ويأمرهم بتقييد النتائج التي توصلوا إليها ، لفهم المسائل على حقيقتها ، ولتنمية قدراتهم ومداركهم في البحث والتفكير . (151)

وتطورت المناقشات العلمية في بعض الأحيان تطورا نوعيا ، فلم تعد مسألة المناظرة والمحاورة خاصة بمجلس معين ، بل تتعداه إلى مجالس أخرى ، وعلماء آخرون ، عندما يبقى الخلاف قائما بين الطلبة ومدّرسهم ، فقد ذكر صاحب المعيار أنّ طلبة مازونة توجهوا بسؤال بقي عالقا في حلقة درسهم إلى بعض علماء تلمسان وتونس للإجابة عنه (152) ، وتلقوا أجوبة العلماء ، ممّا يؤكد الحرص الكبير الذي يولييه الطلبة لفهمه وإستيعاب المسائل العلمية على حقيقتها ، ولو إقتضى الحال مراسلة العلماء في أقطار إسلامية أخرى.

بعد إنقضاء مدّة الدراسة التي يزاوها الطلبة ، يتوجّون في نهاية مشوارهم الدراسي بشهادة علمية تسمّى الإجازة ، تعكس مستواهم العلمي ومدى تمكنهم من العلوم والكتب التي درسوها ونالوا ثقة روايتها وتدريسها لفضا أو كتابة تجلّعهم في مصاف العلماء والفقهاء ، ممن لهم مكانة في المشيخة العلمية . (153)

رابعا : الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة

كانت الرحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة من المسائل المحمودّة في المغرب الإسلامي عموما باعتبارها عاملا هاما في تمتين العلاقات والروابط بين الدول ، والتقريب بين العلماء والمشائخ من مختلف الأقطار، وقد تزامن ذلك بوجه خاص مع موسم الحج إلى البقاع المقدسة ومقابلة العلماء ومناظرتهم ، والأخذ عنهم بتداول المعارف ، وتبادل

الإجازات إمّا باللقاء المباشر أو عن طريق المكاتبة ، فأتاحت هذه العوامل تلاقحا فكريا ودعما للروابط الثقافية بين علماء فاس وتلمسان ونظرائهم من حواضر المشرق والمغرب . (154)

لقد نتج عن هذه الرحلات تبادل للمعارف والأراء في مختلف العلوم العقلية والنقلية، حيث كان علماء المغرب يتصلون بعلماء المشرق والأندلس ويتبادلون معهم الكتب والمصنفات وشتى ألوان المعارف ويتدارسونها، فكانت الحركة العلمية مستمرة بين فاس ، وتلمسان ، وتونس، وغرناطة ، والشام ، ومصر ، والعراق ، والحجاز للاستزادة من العلوم والإجازة ، والتعمق أكثر في دراسة الفقه وأصوله وسائر العلوم . (155) والأمثلة كثيرة عن علماء تلمسان وعواصم المغرب الأوسط الذين تنقلوا إلى مختلف الحواضر الإسلامية مشرقا ومغربا نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر هذه الفئة ، وإن كان عددها قليل إلا أنها كافية لإعطاء صورة واضحة عن دورهم في تمتين الروابط الثقافية وتمتين العلاقات الفكرية والمساهمة في النهضة العلمية بالمغرب عامة ومنهم :

1- الفقيه أبو اسحاق ابراهيم بن يخلف التنسي (ت 680 هـ / 1281 م) : ذكره ابن مريم بقوله : « وإليه الرحلة من المشرق والمغرب » (156) ويضيف التنبكي قائلا : ولقي في رحلته أعلاما بمصر والشام من أصحاب الشيخ أبي الحسن ، وروى عن ابن كحيل ، وابن علي ناصر الدين المشدالي ، وقرأ بتونس على جماعة ، وبالقاهرة الحصول على شمس الدين الأصبهاني ، والمنطق والجدل على القرافي ، وحضر على سيف الدين الحنفي الإرشاد للعميدي حتى ختمه ... ولازم ابن دقيق العيد بمصر مدة وأخذ عنه كثير (157)

2- الفقيه أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الآبلي : (ت 757 هـ / 1356 م) : وصفه تلميذه المقرئ بقوله : « هو الإمام نسيج وحده ورحلة وقته في القيام على

الفنون المعقولة وإدراكه وصحة نظره» (158) ، أخذ العلم عن مشيخة تلمسان ، ثم إرتحل في آخر المائة السابعة ، قاصدا المشرق ، فدخل مصر والشام والحجاز والعراق ولقي به وبغيره كثيرا من العلماء الأعلام (159) منهم ابن دقيق ، وابن الرفعة ، والصفي الهندي ، والتبريزي ، وغيرهم من فرسان فن المعقول . (160)

وبعد عودته إلى تلمسان بعلم غزير من المعقول والمنقول ، فضّل الرحلة إلى المغرب الأقصى ، للإستزادة عن علمائها (161) ، ثم إتّحق بشيخ قبيلة هسكورة ، علي بن محمد بن تروميت ، فعكف عنده على النظر ، إلى أن فاق أهل زمانه في العلوم العقلية بأسرها ، وأصبح لايعرف في المغرب وإفريقية فقيها إلّا وله عليه مشيخة . (162) ثم قرأ بفاس على شيخ التعاليم خلوف المغيلي اليهودي ، فأخذ فنونها ومهر فيها ، ثم إرتحل إلى مراكش سنة (710 هـ / 1310 م) ، ونزل على الإمام ابن البنا شيخ المعقول والمنقول ، المبرز في التصوف فلازمه ودرس عليه علم المعقول والتعاليم والحكمة (163) .

3- الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد المقرئ : (ت 759 هـ / 1358 م)

:ولد بتلمسان ونشأ بها ودرس على علمائها من أمثال إبن الإمام وأبي موسى عمران المشدالي ، وأبي محمد المجاصي ، وأبي عبد الله منصور بن هدية وأبي عبد الله البلوي والأبلي وغيرهم من مشايخ تلمسان (164) ولما احتل أبو الحسن المريني تلمسان سنة (737 هـ / 1337 م) قدم معه علماء فاس فدرس عليهم المقرئ وإستفاد من أبي محمد عبد المهيمن الحضرمي في الحديث والعربية ومن السّطّي في الفقه والفرائض ، ومن الأبلي في التعاليم وغيرها . (165)

رحل إلى بجاية فلقني بها من العلماء أبا عبد الله محمد بن يحيى الباهلي ، المعروف بابن المسقر وغيره ثم سار إلى تونس ، فأخذ بها عن القاضي أبي عبد الله بن عبد السلام ،

والفقيه عبد الله بن هارون ، والشيخ الصوفي أبي الحسن المنتصر ، والكاتب أبي عبد الله بن الجيّاب وغيرهم ⁽¹⁶⁶⁾ وعاد المقرئ إلى تلمسان ثم مالبت أن غادرها في إتجاه المغرب الأقصى فأقام مدّة بفاس ، ودرس على علمائها من أمثال الشيخ أبي زيد عبد الرحمان بن عفان الجزولي وأبي العباس المكناسي وغيرهم ثم توجه نحو المشرق ، فلقي بها أباحيان النحوي وشمس الدين الأصبهاني وابن عدلان ثم رحل إلى الشام فلقي ابن قيم الجوزية وصدر الدين الغماري المالكي وغيرهم ⁽¹⁶⁷⁾ ، ثم قام بفريضة الحج ، ولقي بمكة أبا عبد الله بن عبد الرحمن التوزري ، وبالمدينة أبا محمد عبد الوهاب الجبرتي ، ثم رحل إلى الشام ، فلقي بدمشق شمس الدين بن القيم الجوزية ، وببيت المقدس أبا عبد الله بن مثبت ، وشمس الدين بن سالم وغيرهما . ⁽¹⁶⁸⁾

4- الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني (ت 792 هـ / 1389 م) :

أجاد في وصفه ابن خلدون بقوله : « شيخنا الفقيه العالم الأعرف... أحد رجال الكمال علماً وديناً لا يعزب عن علمه فن عقلي إلاّ وقد أحاط به ، بلغ الغاية القصوى من الإدراك والتبحر وفصاحة اللسان عند الإلقاء ، واحد عصره » ⁽¹⁶⁹⁾ من أكابر علماء تلمسان ومحققهم نشأ حريصاً على طلب العلم والاستزادة منه، قرأ على مشيخة تلمسان ثم انتقل مع أبيه إلى فاس فدرس بها القرآن على أبي عبد الله بن زيد النجدي، والنحو على أبي عبد الله ابن حياقي والحديث على الخطيب ابن مرزوق ، والفقه على أبي عمران موسى العبدوسي وأبي العباس القباب والحسن الونشريسي وأبي العباس ابن الشماخ وغيرهم من الشيوخ والعلماء. ⁽¹⁷⁰⁾ ثم درس على أبيه مختلف العلوم من إعتقاد وأصول الدين وطبيعيات وفلسفة ومنطق وجدل ورياضيات وحديث وتفسير فنال بضاعة وافرة من العلوم أتقن حفظها وفهمها ⁽¹⁷¹⁾ وبعد وفاة

أبيه جلس مجلسه ، وحضره من يحضر أباه ولم ينتقد عليه شيئا ، وأعترفوا بتقدمه ، حتى أ ، القاضي علي أبو الحسن المغربي كان يقول : إنتفعت به في أصول الفقه أكثر من أبيه ، لحسن تقريره وبسطه ، ثم نقل إلى الجامع الأعظم فأقرأ أحكام عبد الحق وفرعي ابن الحاجب ، وكان يحضره طلبة فاس وشأنهم حفظ المسائل والنقل خلاف عادة التلمسانين فكان يوفيهم حقهم ⁽¹⁷²⁾، له مشاركة في العلوم العقلية والنقلية، دخل غرناطة فأخذ عن شيوخها وتوفي غريقا وهو عائد إلى تلمسان. ⁽¹⁷³⁾

5- الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الخطيب (ت 781 هـ / 1379 م) : ذكره تلميذه أبو الحسن القلصادي في رحلته بقوله : « الشيخ الفقيه الإمام العلامة ... قطع الليالي ساهراً ، وأقتطف من العلم أزاهر ، فأثمر وأورق ، وغرب وشرق ، حتى توغل في فنون العلم وأستغرق إلى أن طلع للأبصار هلالاً ، لأن المغرب مطلعته ... لقي الشيوخ الجلّة الأكابر وبقي حمده مغترفا من بطون الكتب وألسنة الأقلام وأفواه المخابر » ⁽¹⁷⁴⁾.

إختار ابن مرزوق طريق الرحلة في طلب العلم ، ولقاء المشيخة ، فكان له الفضل الإقراء من المغرب إلى الديار المصرية ، أين أخذ العلم عن شيوخ تلمسان ⁽¹⁷⁵⁾ ثم إرتحل لأول مرة إلى المشرق سنة (718هـ /

1316 م) ، فأقام مدة مع والده بالحرمين ، ثم عاد إلى القاهرة ، ولازم برهان الدين الصفاقسي ، ومن تلمسان أجاز إلى الأندلس ، فأسندت إليه الخطابة في جامع الحمراء سنة (754هـ / 1352م) ثم عاد إلى وطنه فساهم رفقة عمّه في الإشراف على بناء مسجد أبي مدين شعيب بالعباد وتولى الخطابة به بعد وفاة عمّه ، وفي تلك الأثناء كان يلازم مجالس الأخوين إبن الإمام العلمية ⁽¹⁷⁶⁾ .

وفي سنة (766هـ / 1364 م) إستقر بتونس فولاه السلطان أبو إسحاق الحفصي الخطابة بجامع الموحدين والتدريس بمدارس تونس ثم سمح له بالرحلة إلى المشرق فحل بالإسكندرية ثم القاهرة وأتصل بالسلطان الأشرف ، فأكرم مثواه بمجلسه وولاه التدريس وقضاء المالكية وأقام ابن مرزوق بالقاهرة عزيز الجانب عالي القدر إلى أن توفي سنة (781هـ / 1379م) (177).

الخاتمة :

شهدت تلمسان خلال العهد الزياني تطورا علميا وازدهارا فكريا بارزا أتاح للعقلية المغربية مزيدا من النضج والرقى بفضل الجهود الخاصة لفئة الحكام والفقهاء في بناء وتفعيل دور المؤسسات التعليمية بجميع أنماطها كمعاهد علمية وثقافية هامة في بلاد المغرب من حيث كونها موضعا للتدريس وإقامة الطلبة ، وأماكن للعبادة والذكر واجتماع الفقهاء والمتصوفة ، يؤطرها كبار العلماء والأساتذة ويسهر علة تمويلها العام والخاص من الحكام والمحكومين ، إذ لم يضع سلاطين بني زيان أمام العلماء الوافدين من المغرب وغيرهم من فقهاء الأندلس وأدبائها المهاجرين إلى أرض تلمسان أية عوائق تعوق إقامتهم في ربوع الدولة ، بل لقد إنظم كثير من هؤلاء العلماء إلى مجالس السلاطين العلمية ، وشغل بعضهم مناصب هامة في الدولة مما ساهم في تأطير الحركة الفكرية برصيد هائل من الثقافة المغربية الأندلسية .

استطاع بنو زيان بهذه الدعائم تنمية الحركة الفكرية وتعميق جذورها في بلاد المغرب ، حيث أصبحت تلمسان حاضرة للعلم والثقافة زيادة على كونها عاصمة سياسية للدولة .

الهوامش :

- (1) يحي بوعزيز ، ماضي مدينة تلمسان وأمجادها الحضارية ، مجلة الأصالة ، الجزء الأول ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1989 / 35 - 36
- (2) فيلالى عبد العزيز ، تلمسان في العهد الزياني (دراسة سياسية ، عمرانية ، إجتماعية ، ثقافية) ، فوم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2002 ، 2 / 319
- (3) التنسي محمد بن عبد الله بن عبد الجليل (ت 899 هـ / 1493 م) ، نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان ، تحقيق وتعليق ، محمود بوعيايد ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1985 / / 247
- (4) أنظر ترجمته في : أبو زكرياء يحي بن محمد ابن خلدون (ت 780 هـ / 1378 م) ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تحقيق ألفريد بال ، الغوثي أبو علي ، مطبعة فونطانة ، الجزائر ، 1903 ، ، 1 / 48 ، الحفناوي أبو القاسم محمد بن أبي القاسم الديسي ، تعريف الخلف برجال السلف ، مطبعة بيبير فونتانة الشرقية ، الجزائر ، 1906 ، 2 / 15 - 16 ، التنبكي أحمد بابا (ت 1036 هـ / 1626 م) ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم الهرامة عبد الحميد عبد الله ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، ط1 ، طرابلس ، 1989
- (5) التنسي ، م.س / 126 - 127
- (6) التنسي ، م.ن / 127
- (7) أنظر ترجمته في : ابن مريم أبو عبد الله محمد بن أحمد (كان حيا سنة 1014 هـ / 1605 م) ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، إعتنى بمراجعته محمد بن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية ، 1908 / 227 ، يحي ابن خلدون ، م.س ، 1 / 69 - 70
- (8) التنسي ، م.س ، ص.ن
- (9) عبد الرحمن ابن خلدون (ت 808 هـ / 1406 م) ، تاريخ ابن خلدون ، المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة ، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر ، لبنان ، 2000 ، 7 / 106

(10) أنظر ترجمته في : المقرئ شهاب الدين (ت 1041 هـ / 1631 م) ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، ضبطه وحققه وعلق عليه مصطفى السقي ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط 1 ، القاهرة ، 1940 ، 2 / 301 ، ابن مريم ، م.س / 225

(11) فيلاي ، م.س ، 2 / 321

(12) أنظر ترجمتهما في : ابن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 516-519 ، يحيى ابن خلدون ، م.س / 71-72 ، الحفناوي ، م.س ، 2 / 201-213

(13) المقرئ شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 1041 هـ / 1631 م) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1988 ، 5 / 216

(14) ابن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 133-134-516 ، التنسي ، م.س / 139

(15) أنظر ترجمته في : مخلوف محمد بن محمد ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة (1349-1353 هـ) ، 1 / 220 ، الحفناوي ، م.س ، 1 /

73-76 ، التنبكي ، م.س / 350-352

(16) المقرئ ، نفح الطيب ، م.س ، 5 / 216

(17) أنظر ترجمته في : يحيى ابن خلدون ، م.س ، 1 / 51-52 ، ابن مريم ، م.س / 225

(18) النباهي أبو الحسن علي بن محمد المالقي (ت: ق 08 هـ / 14 م) ، تاريخ قضاة الأندلس ، المعروف بإسم المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، ط 5 ، بيروت ، 1983 / 134

(19) عن بعض هذه المجالس العلمية والفقهية أنظر : المقرئ شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 1041 هـ / 1631 م) ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، ضبطه وحققه وعلق عليه مصطفى السقي ، إبراهيم الأبياري ، عبد الحفيظ شلبي ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط 1 ، القاهرة ، 1940 ، 5 / 18-19 ، المقرئ ، نفح الطيب ، م.س ، 5 / 218-219

- (20) عبد الحميد حاجيات ، أبو هو موسى الزباني - حياته وآثاره ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982 / 159 - 229
- (21) أنظر ترجمته في : يحي إبن خلدون ، م.س ، 1 / 57 ، إبن مريم ، م.س / 117 - 120 ، مخلوف ، م.س ، 1 / 234
- (22) إبن خلدون، م.س ، 7 / 537
- (23) أنظر ترجمته في : المقري ، أزهار الرياض ، م.س ، 1 / 247 ، يحي إبن خلدون ، م.س ، 1 / 57 ، إبن مريم ، م.س / 117 - 120 ، مخلوف ، م.س ، 1 / 234
- (24) رشيد بورويبة وآخرون ، الجزائر في التاريخ ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، 3 / 448 ، محمد بن رمضان شاوش ، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1995 / 500
- (25) المقري ، أزهار الرياض ، م.س ، 1 / 245 ، حاجيات ، م.س / 185 - 186 ، شاوش ، م.س / 497
- (26) فيلاي ، م.س ، 2 / 323
- (27) شاوش ، م.س / 400
- (28) التنسي ، م.س / 211 ، شاوش ، م.س / 504
- (29) التنسي ، م.س ، ص.ن ، شاوش ، م.ن / 505
- (30) فيلاي ، م.س ، 2 / 324
- (31) التنبكي ، م.س / 499 - 505 ، إبن مريم ، م.س / 201 - 214 ، الحفناوي ، م.س ، 1 / 124 - 136
- (32) إبن مريم ، م.س / 147 - 149 ، خير الدين الزركلي ، الأعلام تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، دار العلم للملايين ، ط15 ، بيروت ، 2002 ، 5 / 176 ، الحفناوي ، م.س ، 1 / 85 - 87
- (33) أنظر ترجمته في : إبن مريم ، م.س / 74 - 93 ، الحفناوي ، م.س ، 1 / 131 - 132
- (34) التنسي ، م.س / 24

- (35) أنظر ترجمته في : ابن مريم ، م.س / 219
- (36) أنظر ترجمته في : ابن مريم ، م.س / 38-41 ، الحفناوي ، م.س ، 1 / 38-41
- (37) أنظر ترجمته في : بوروية وآخرون ، م.س 3 / 452
- (38) ابن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 537
- (39) بوروية وآخرون ، م.س 3 / 159
- (40) فيلاي ، م.س ، 2 / 324
- (41) ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت 808 هـ / 1405 م) ، المقدمة ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس خليل شحادة ، مراجعة سهيل زكار ، دار الفكر ، لبنان ، 2000 / / 548
- (42) حاجيات ، م.س / 36-37
- (43) الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى بن محمد (ت 914 هـ ، 1508 م)، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1981 ، 7 / 242
- (44) الوزان الحسن بن محمد ، وصف إفريقيا ، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، بيروت ، 1983 ، 2 / 19
- (45) التنسي ، م.س / 139
- (46) ابن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 517
- Rachid Bourouiba ,L`art religieux musulman en Algerie , S.N.E.D,Alger, 2^{eme}, édition 1981 / 197
- Atalla Dhina , Les États de l`Occident musulman aux XIII , XIV, et XV^{eme},siècle , édition , O.P.U- ENAL., Alger, 1984 / 316
- (47)
- Rachid Bourouiba , op.cit / 197

- (48) يحيى ابن خلدون ، م.س / 71 - 72
- (49) التنبكتي ، م .س / 246
- (50) ابن فرحون برهان الدين إبراهيم بن علي (ت 799 هـ / 1396 م) ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية ، ط 1 ، بيروت ، 1996 / 250
- (51) الحفناوي ، م .س ، 2 / 205 ، التنبكتي ، م .س / 248
- (52) يحيى ابن خلدون ، م.س / 72
- (53) أنظر ترجمته في : يحيى ابن خلدون ، م.س ، 1 / 57 ، ابن مريم ، م.س / 117 - 120 ، مخلوف ، م .س ، 1 / 234
- (54) أنظر ترجمته في : ابن مريم ، م.س / 154 - 164 ، التنبكتي ، م .س / 246 ، حاجيات ، م .س / 46 - 48 ،
- (55) أنظر ترجمته في : ابن مريم ، م.س / 106 - 107 ، مخلوف ، م .س ، 1 / 250 ، الحفناوي ، م .س ، 2 / 153 - 154
- (56) أنظر ترجمته في : يحيى ابن خلدون ، م.س ، 1 / 50 - 51 ، الحفناوي ، م .س ، 1 / 136 - 144 ، ابن مريم ، م.س / 184 - 190
- (57) أنظر ترجمته في : الكتاني عبد الحي بن عبد الكبير ، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والسلالات ، إعثناء إحسان حقي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، د.ت ، 1 / 379 ، الشوكاني محمد بن علي (ت 1250 هـ / 1839 م) ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، مطبعة السعادة ، ط 1 ، القاهرة ، 1944 ، 2 / 191 - 193 ، ابن حجر العسقلاني شهاب الدين أحمد بن علي (ت 852 هـ / 1448 م) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، دار الجيل ، بيروت ، 1993 ، 3 / 469 - 474
- (58) بوروية وآخرون ، م.س ، 3 / 448 ، حاجيات ، م .س / 36 - 61 ، شاوش ، م.س / 397
- (59) التنسي ، م.س / 141

- (60) أنظر ترجمته في : التنبكتي ، م .س / 350-352 ، مخلوف ، م .س ، 1 / 220 ،
الحفناوي ، م .س ، 1 / 73-76
- (61) التنسي ، م.ن.ص.ن ، المقري ، نفع الطيب ، م.س ، 5 / 216 ، التنبكتي ، م .س /
350-352
- (62) مخلوف محمد بن محمد ، م .س ، 1 / 250 ، الحفناوي ، م .س ، 2 / 153-
154
- (63) المقري ، نفع الطيب ، م.س ، 5 / 223 ، التنبكتي ، م .س / 420 ، مخلوف ، م
س ، 1 / 232
- (64) حاجيات ، م .س / 44
- (65) أنظر ترجمته في : يحي إبن خلدون ، م.س ، 1 / 73-74 ، إبن مريم ، م.س / 291
، حاجيات ، م .س / 45-46
- (66) م شاوش ، م.س / 397
- Rachid Bourouiba , op.cit / 197
- (67) أنظر ترجمته في : يحي إبن خلدون ، م.س ، 1 / 434-435
- (68) محمد عيسى الحريري ، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني ، دار القلم للنشر
والتوزيع ، ط2 ، الكويت ، 1987 / 112 ، بورويبة وآخرون ، م.س ، 3 / 438
- (69) إبن مرزوق أبو عبد الله محمد التلمساني الخطيب (ت 781 هـ / 1379 م) ، المسند
الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية
للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 / 460 ، إبن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 529
- (70) إبن مرزوق ، المسند الصحيح ، م.س / 460
- (71) الوزان ، م.س ، 2 / 24
- (72) الوزان ، م.ن ، 2 / ص.ن ، بن قرية صالح وآخرون ، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من
خلال المصادر ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر
1954 ، طبعة خاصة ، وزارة المجاهدين ، الجزائر ، 2007 / 170

- (73) ابن مرزوق ، المسند الصحيح ، م.س / 220
- (74) أنظر ترجمته في : يحيى ابن خلدون ، م.س ، 1 / 50 - 51 ، الحفناوي ، م.س ، 1 / 136 - 144 ، ابن مريم ، م.س / 184 - 190
- (75) ابن مريم ، م.س / 184 - 190 ، حاجيات ، م.س / 165 - 168
- (76) أنظر ترجمته في : الحريري ، م.س / 125 - 131
- (77) ابن مريم ، م.س / 184 - 190 ، الحريري ، م.س / 125 - 131 ، بوروية وآخرون ، م.س ، 3 / 438 ، مبارك بن محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القدام والحديث ، تقلسم وتصحيح محمد الميلي ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت ، 2 / 491
- (78) أنظر ترجمته في : ابن مريم ، م.س / 184 - 190 ،
- (79) Marcais,op.cit / 278
- Georges
- (80) ابن مرزوق ، المسند الصحيح ، م.س / 303
- (81) ابن مرزوق ، المسند الصحيح ، م.ن / 406
- (82) بن قرية صالح وآخرون ، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ، طبعة خاصة ، وزارة المجاهدين ، الجزائر ، 2007 / 179 - 185
- (83) المقرري ، نفح الطيب ، م.س ، 5 / 216
- (84) يحيى ابن خلدون ، م.س ، 2 / 104
- (85) يحيى ابن خلدون ، م.ن ، 2 / 136
- (86) حاجيات ، م.س / 182
- (87) أنظر ترجمته في : يحيى ابن خلدون ، م.س ، 1 / 57 ، ابن مريم ، م.س / 117 - 120
- ، مخلوف ، م.س ، 1 / 234
- (88) ابن خلدون ، م.س ، 7 / 537

- (89) أنظر ترجمته في : ابن مريم ، م.س / 117 - 120 ، يحيى ابن خلدون ، م.س ، 1 / 57 ، بورويبة وآخرون ، م.س 3 / 428 ،
- (90) حاجيات ، م.س / 169 ،
- (91) بورويبة وآخرون ، م.س ، 3 / 437 - 438 ،
- (92) الونشريسي ، المعيار المغرب ، م.س ، 7 / 237 ،
- (93) الجيلالي ، م.س ، 2 / 252 ،
- (94) بورويبة وآخرون ، م.س 3 / 437 - 438 ،
- (95) التنسي ، م.س / 125 ، حاجيات ، م.س / 58 ،
- (96) بورويبة وآخرون ، م.س ، 3 / 438 ،
- (97) حاجيات ، م.س / 59 ،
- (98) بورويبة وآخرون ، م.س ، 3 / 496 ،
- Rachid Bourouiba , op.cit . / 19
- (99) ابن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 517 ، التنسي ، م.س / 139 ،
- (100) حاجيات ، م.س / 59 ،
- (101) بورويبة وآخرون ، م.س ، 3 / 497 ،
- (102) بورويبة وآخرون ، م.ن ، 3 / 497 ،
- (103) يحيى ابن خلدون ، م.س ، 2 / 104 ،
- (104) بورويبة وآخرون ، م.ن ، 3 / 497 ،
- (105) حاجيات ، م.س / 62 - 63 ،
- (106) ابن مرزوق ، المسند الصحيح ، م.س / 402 - 404 ، حاجيات ، م.ن / 65 ، 497
- (107) صالح بن قربة ، المفندة المغربية والأندلسية في العصور الوسطى ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 / 115 - 116 ،

- (108) ابن مرزوق ، المسند الصحيح ، م.س / 402 - 403 ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، م.س ، 7 / 528
- (109) مدينة صغيرة تقع في أعلى جبل على بعد ميل جنوب تلمسان ، بها دفن ولي كبير ذو صيت شهير يوجد ضريحه في مسجد يصل الزائر إليه بعد نزوله من عدة درجات . أنظر : الوزان الحسن بن محمد ، م.س ، 2 / 24
- (110) أنظر ترجمته في : يحيى ابن خلدون ، م.س ، 1 / 63 ، ابن مريم ، م.س / 108 - 114 ، التنسي ، م.س / 145 - 146
- (111) أنظر ترجمته في : ابن خلدون ، م.س ، 7 / 528 - 532 ، يحيى ابن خلدون ، م.س ، 1 / 50 ، ابن مريم ، م.س / 184 - 190
- (112) أنظر ترجمته في : يحيى ابن خلدون ، م.س ، 1 / 48 - 49
- (113) ابن خلدون ، م.س ، 7 / 529
- (114) شاوش ، م.س / 296
- (115) ابن مرزوق ، المسند الصحيح ، م.س / 403 - 404 ، بوروية وآخرون ، م.س ، 3 / 500 - 502
- (116) ابن مريم ، م.س / 184 - 190 ، الحريري ، م.س / 125 - 131 ، بوروية وآخرون ، م.س ، 3 / 438
- (117) فيلاي ، م.س ، 1 / 148 ، بوروية وآخرون ، م.س ، 3 / 503
- (118) أنظر ترجمته في : ابن مريم ، م.س / 184 - 190
- (119) بن قرنة وآخرون ، م.س / 176
- (120) بوروية وآخرون ، م.س ، 3 / 504 - 505
- (121) الونشريسي ، المعيار المغرب ، م.س ، 7 / 215 - 216
- (122) الونشريسي ، المعيار المغرب ، م.ن ، 7 / ص.ن ، روبرير برونشفيك ، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م ، ترجمة حمادي الساحلي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988 ، 2 / 375

- (123) ابن خلدون ، المقدمة ، م.س / 740
- (124) الأهواني أحمد فؤاد ، التربية في الإسلام ، دار المعارف ، مصر ، 1968 / 87
- (125) الونشريسي ، المعيار المعرب ، م.س ، 7 / 83
- (126) الأهواني ، م.س / 143 - 144
- (127) برونشفيك ، م.س ، 2 / 375
- (128) ابن خلدون ، المقدمة ، م.س / 744
- (129) ابن خلدون ، المقدمة ، م.ن / 741 - 743
- (130) برونشفيك ، م.س ، 2 / 378
- (131) الأهواني ، م.س / 184
- (132) برونشفيك ، م.س ، 2 / 376
- (133) ابن خلدون ، المقدمة ، م.س / 551
- (134) يحيى ابن خلدون ، م.س ، 1 / 57 ، بورويبة وآخرون ، م.س 3 / 428
- (135) يحيى ابن خلدون ، م.س ، 1 / 57 ، ابن مريم ، م.س / 117 - 120 ، بورويبة وآخرون ، م.س 3 / 428
- (136) ابن مريم ، م.س / 106 - 107
- (137) التنبكتي ، م.س / 350 - 352
- (138) ابن مريم ، م.س / 237 - 248
- (139) ابن مريم ، م.س / 219 ، التنبكتي ، م.س / 543
- (140) يحيى ابن خلدون ، م.س ، 1 / 56
- (141) يحيى ابن خلدون ، م.س ، 2 / 40 - 41
- (142) الونشريسي ، المعيار المعرب ، م.س ، 2 / 475 - 486
- (143) التنسي ، م.س / 180 ، ابن مريم ، م.س / 171 ، الونشريسي ، المعيار المعرب ، م.ن ، 2 / 478
- (144) الوزان ، م.س ، 1 / 227

- (145) بورويبة وآخرون، م.س 3 / 438
- (146) الوزان ، م.س ، 1 / ص.ن
- (147) المقرري شهاب الدين (ت 703 هـ / 1303 م) ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، تحقيق مصطفى السقي و إبراهيم الأبياري وآخرون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1939 - 1940 ، 3 / 22
- (148) ابن مريم ، م.س / 118 ، بورويبة وآخرون، م.س 3 / 438
- (149) القلصادي أبو الحسن علي (ت 891 هـ ، 1486م) ، رحلة القلصادي ، تحقيق أبو الأحنان ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، د ت / 44
- (150) التبنكي ، م .س / 621
- (151) ابن مريم ، م.س / 118 - 119
- (152) الونشريسي ، المعيار المعرب ، م.س ، 12 / 345
- (153) فيلاي ، م.س ، 2 / 356
- (154) فيلاي، م.ن ، 2 / 327
- (155) الزواوي رشيد ، التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي ، مجلة الحضارة الإسلامية ، العدد 1 ، الجزائر، 1993 / 324 - 339
- (156) ابن مريم ، م.س / 67
- (157) التبنكي ، م .س / 38 - 39
- (158) ابن مريم ، م.س / 214
- (159) المقرري ، تفح الطيب ، م.س ، 5 / 244
- (160) ابن مريم ، م.س / 214 - 215
- (161) المقرري ، تفح الطيب ، م.ن ، 5 / 244
- (162) يحي ابن خلدون ، م.س ، 1 / 57
- (163) ابن مريم ، م.س / 214 - 215
- (164) مخلوف ، م .س ، 1 / 232

- (165) ابن مريم ، م.س / 156
- (166) التنبكي أ ، م .س / 421 - 422
- (167) حاجيات ، م.س / 47
- (168) حاجيات ، م.ن ، ص.ن
- (169) يحيى ابن خلدون ، م.س ، 1 / 57
- (170) ابن مريم ، م.س / 117
- (171) حاجيات ، م.س / 169
- (172) التنبكي ، م .س / 226 - 227
- (173) ابن مريم ، م.س / 117
- (174) التنبكي ، م .س / 504
- (175) الحفناوي ، م .س ، 1 / 128 ، مخلوف ، م .س ، 1 / 252 - 253
- (176) ابن مريم ، م.س / 147 - 148 ، بورويبة وآخرون ، م.س ، 3 / 442
- (177) السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 902 هـ / 1497 م) ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل ، ط1 ، بيروت ، 1992 ، 7 / 50 ، المقري ، تفح الطيب ، م.س ، 5 / 425 ، حاجيات ، م.س / 165 - 168